الكناية عن بيت المقدس في القرآن الكريم
The Metaphor of Jerusalem in the Holy Qura'n
(دراسة بلاغية في القرآن الكريم)

د. إدريس محمد القديل جمعة*

مستخلص

تناولت هذه الدراسة البحث في القرآن الكريم عن السور والآيات التي ورد فيها ذكر بيت المقدس عن طريق الكناية، وهدفت الدراسة إلى كشف هذه الأسرار البلاغية في مكامن القرآن ليسهل فهمها، وجاءت أهمية هذه الدراسة في أنها شرحت المواقع التي ذُكر فيها بيت المقدس وإصطفاء أسلوب الكناية في التعبير عنه، وذلك لما فيه من خصوصية في المعنى بالدليل، وأن حديث القرآن عن القدس جاء متناغماً مع ترتيب النزول، كما جاء هذا الترتيب كاشفاً عن ترتيب السور، في المصحف من حيث التقديم والتأخير، وقد أتبعت الدراسة المنهج الوصفي الاستقرائي، ومن أهم نتائج الدراسة أنه ذُكر بيت المقدس في عدد ثمان عشرة آية من عدد عشر سور مرتبة من حيث التقديم والتأخير كما هو في المصحف الشريف، وتُوصي هذه الدراسة بأن تتبعها دراسات أخرى للبلاغة بكل فروعها في القرآن الكريم.

* أستاذ مساعد – وزارة التعليم العالي والبحث العلمي – قسم اللغة العربية – كلية المعلمين – جامعة الدلنج – مدينة الدلنج – السودان

Abstract

This study dealt with searching in the Holy Qur'an for the surahs and verses in which the Jerusalem was mentioned through metonymy. The study aimed at revealing these rhetorical secrets in the places of the Holy Qur'an to make them easier to be understood. The importance of this study was that it explained the sites in which the Holy House was mentioned and the selection of the metonymic style in it. Expressing it, due to its specificity in meaning with evidence, and that the Qur'an's hadith about Jerusalem was in harmony with the order of revelation, and this order also revealed the order of the surahs in the Qur'an in terms of precedence and delay. The study followed the descriptive inductive approach, and one of the most important results of the study is Jerusalem was mentioned in eighteen verses out of ten surahs, arranged in order of precedence and delay, as is the case in the Holy Qur'an. This study recommends that further studies should be carried outin rhetoric and its all branches in the Holy Qura'n.

المبحث الأول

أساسيات الدراسة

عنوان البحث:

الكناية عن بيت المقدس في القرآن الكريم.

هيكل البحث:

يتكون هيكل البحث من ثلاثة مباحث، المبحث الأول منه عبارة عن أساسيات البحث، والمبحث الثاني هو تعريف الكناية في أصل اللغة والاصطلاح، وأقسامها وأنواعها، والمبحث الثالث وهو عبارة عن مواقع ذكر بيت المقدس عن طريق الكناية في القرآن الكريم.

منهج البحث:

المنهج المتبع في هذا البحث هو المنهج الوصفي الاستقرائي التطبيقي.

أسباب اختيار البحث:

هنالك أسباب مُلحة دعت لاختيار هذا الموضوع للبحث عنه ومن أهم هذه الأسباب نريد الوقوف على الكناية عن بيت المقدس في القرآن الكريم باعتبار أنها أحد فروع علم البيان المهمة التي يذكر فيها اللفظ ويراد لازم معناه الحقيقي وذلك لفهم وتدبر معاني القرآن الكريم عن طريق الكناية.

أهمية البحث:

1/ تتعلق الدراسة بكتاب الله تعالى وبيان معانيه.

2/ إبراز الجانب الخفي لذكر بيت الله الحرام عن طريق الكناية.

3/ إظهار وإبراز الكناية في هذا البحث له دور كبير في فهم وتدبر معاني القرآن الكريم.

4/ يعتبر البحث إضافة في مجال علم البيان للمكتبة الإسلامية.

أهداف ودوافع البحث:

يهدف هذا البحث إلى معرفة أهمية بيت المقدس للمسلمين ومعرفة مواضع ذكره في القرآن الكريم عن طريق الكناية والصريح من القول، وشرح مواقع ذكره بالكناية، والتعرف على السور والآيات التي ذكر فيها بيت المقدس من حيث عددها وترتيبها في المصحف الشريف.

الدراسات السابقة:

1/ اسم الدراسة: نظم الجملة في القرآن الكريم: دراسة بلاغية تطبيقية في الربع الثاني من القرآن الكريم.

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية

إعداد الباحث: عبدالحكم خير السيد محمد.

مشكلة الدراسة:

1/ فيما يختلف نظم الجملة القرآنية عن غيره من كلام البشر.

2/ ما سبب نشؤ علم النظم.

3/ ما هي الجوانب البلاغية التي تقوم عليها دراسة النظم.

4/ ما سبب اجتماع قوة اللفظ وجمال المعنى في النظم القرآني.

المنهج المتبع في الدراسة:

أتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي الذي يعني الشواهد القرآنية في الربع الثاني من القرآن الكريم، ثم القيام بتحليلها، ومناقشتها مستعيناً بآراء علماء اللغة والبلاغة والإعجاز البياني.

نتائج الدراسة:

من أهم نتائج هذه الدراسة لقد تعرف الدارس على الأغراض البلاغية للجملة القرآنية من خلال نظمها، وقد وقف الدارس على خصائص النظم القرآني وتوصل إلى أن نظم الجملة في القرآن الكريم يحتذي به في الاستخدام اللغوي الذي يقتضيه المعنى، من الألفاظ القرآنية التي تلائم معانيها دون تكلف واكتمال ترتيبها ومواخاتها وارتباطها بموضوعاتها

علاقة الدراسة بالبحث:

تنحصر في أنها دراسة بلاغية في جزء من القرآن الكريم ويدخل فيها علم البيان الذي يحتوي على الكناية وهي من صميم هذه الدراسة

2/ اسم الدراسة: المجاز المرسل في السبع سور الطوال من القرآن الكريم (البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنعام، الأعراف، التوبة).

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية

إعداد الباحث: محمد أدم إبراهيم صالح، جامعة كردفان، كلية التربية، قسم اللغة العربية.

مشكلة الدراسة:

حصر علاقات المجاز المرسل في هذه السور وبيان أثره في تأدية المعاني وتقويتها وتوضيح المزايا البلاغية.

المنهج المتبع في الدراسة:

هو المنهج الوصفي التحليلي التطبيقي.

نتائج الدراسة:

1/وردت علاقات المجاز المرسل المختلفة في حوالي ثلاثة وخمسين موضعاً في سورتي البقرة وآل عمران.

2/ وردت علاقات المجاز المرسل المختلفة في حوالي تسعة عشر موضعاً من سورتي النساء والمائدة.

3/ وردت علاقات المجاز المرسل المختلفة في حوالي أربعة عشر موضعاً من سورة الأنعام والأعراف والتوبة.

علاقة الدراسة بالبحث:

تخصصت هذه الدراسة في البحث عن علاقات المجاز في بعض سور القرآن الكريم ويعتبر علم المجاز هذا بمثابة قسم من أقسام علم البيان الذي بحثت فيه دراستي وعليه فقد استفدت منها في طريقة وأسلوب استخراج علم الكناية من الآيات القرآنية.

3/ اسم الدراسة: الألفاظ المتضادة في القرآن الكريم (دراسة بلاغية لغوية).

اسم الباحثة: سلمى حسن أحمد البدوي.

جامعة الخرطوم، كلية التربية، قسم اللغة العربية.

مشكلة الدراسة:

كيفية التعرف على بعض الظواهر اللغوية التي تسهم في تعدد المعنى في اللغة العربية مثل الاشتراك اللفظي، والترادف، والبلاغة وبيان موقف علماء اللغة منها إثباتاً وإنكاراً.

المنهج المتبع:

هو المنهج الوصفي في التعليق والمناقشة التحليلية في الموازنة للقضية موضع النظر.

نتائج الدراسة:

1/ أثبتت الدراسة أن في القرآن الكريم ما لا يقل عن خمسين لفظاً ذهب العلماء إلى أنها من الأضداد.

2/ أتفق علماء اللغة وأصحاب التفاسير على معاني كثيرة من الألفاظ المتضادة في القرآن الكريم واستدلوا على ذلك بالشعر العربي لما فيه من بلاغة وبيان.

علاقة الدراسة بالبحث:

درست وبحثت هذه الرسالة في مجال القرآن الكريم وتغلغلت في معرفة معانيه عبر علوم البلاغة المختلفة لتصل إلى الألفاظ المتضادة وذلك عبر تفسيرها ومعرفة معانيها لغوياً وبلاغياً مستدلين في ذلك ببلاغة الشعر العربي. وكان في ذلك صلة بالبحث الذي هو من صلب البلاغة العربية.

المبحث الثاني
تعريف الكناية

الكناية في أصل اللغة:

هي أن تتكلم بشيء وأنت تريد غيره، وهي الغطاء وزناً ومعنىً، والجمع أكنة مثل أغطية، وقد كنيت بكذا عن كذا وكنوت. وهي أذن تقيض الإعلان والإفصاح ومقابل للصريح، والإعراب الذي هو نقيض للعُجمة والبهمة، فكننته سترته وكِنة بالكسر هو السترة وأكننته بالألف أخفيته، وقيل الثلاثي والرباعي لغتان في الستر وفي الإخفاء جميعاً، وأمنن الشيء وأستكن إستتر[1] فكننت الشيء إذ خبأته وسترته وكل شيء سترت به شيء فهو كناية[2] قال تعالى: (وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ) سورة القصص الآية (9)، وأكننته أضمرته، وبنى على باب داره كنة بمعنى ستره،[3] وبناء على ما تقدم فإن الكناية كيفما كانت تعني الستر والإضمار والإخفاء وهي أبعد ما تكون من السفور والوضوح.

ويرى الأصوليون والفقهاء أن الكناية لفظ أستتر المراد عنه في نفسه، والمعتبر عندهم في الصريح والكناية الاستتار، ولم يفسروا الكناية إلا بما أستتر منه المراد سواء أكان باعتبار المحل أو غيره ولم يشترطوا اللازم ثم الإنتقال منه إلى ملزومه كما أشترط أهل البيان بدليل أنهم جعلوا الحقيقة المهجورة والمجاز غير المتعارف كنية بمجرد الاستتار، بينما هي عند علماء البيان لفظ قصد بمعناه معنى ثانٍ ملزوم له، أي لفظ أُستعمل في

معناه الموضوع له لكن لا ليتعلق به الثبات والنفي ويرجع إليه الصدق والكذب، بل لينتقل منه إلى ملزومه فيكون هذا مناط الإثبات والنفي ومرجع الصدق والكذب.

الكناية اصطلاحاً:

هي لفظ أريد لازم معناه مع جواز إرادة معناه الحقيقي[4] كقولك: (فلانة نؤوم أُلضحى) أي: مرفهة مخدومة غير محتاجة إلى السعي بنفسها.

وفي الاصطلاح أن وقت الضُحى هو وقت سعي نساء العرب في أمر المعاش وكفاية أسبابه وتحصيل ما يحتاج إليه في تهيئة المتناولات واصطلاحاً لا تنام في ذلك الوقت من نسائهم إلا من لديها خدم ينوبون عنها في السعي لذلك. فالفرق بين الكناية وبين المجاز من جهة إرادة المعنى مع إرادة لازمة هو أن المجاز ينافي ذلك، فلا يصح قولك: (في الحمام أسد) أن تريد معنى الأسد من غير تأويل لأن المجاز ملزوم قرينه معاندة لإرادة الحقيقة وملزوم معاند الشيء معاند لذلك الشيء.

والكناية أن يقصد في اللفظ معناه اللازم ولكن تخلو الجملة مع قرينة تمنع إرادة المعنى الأصل وذلك مثل قولك: (زيد طويل اللسان) وتقصد أنه بذيء، فهنا أُستعمل اللفظ (طويل اللسان) وأريد لازمه، وكما ترى المثال يخلوا من قرينة تجعل إرادة المعنى الحقيقي مستحيلاً.

أقسام وأنواع الكناية:

تنقسم الكناية إلى ثلاثة أقسام وهي:

كناية عن صفة، كناية عن موصوف، كناية عن نسبة.

الكناية عن صفة:

هي التي يكون المعنى المقصود صفة تثبت لموصوف: أي معنى من المعاني، مثل الكرم، والحُلم، والجود، والسرعة، والبطء، ونحو قولك: (زيد لا يدخل من هذا الباب) فهنا كناية عن صفة وهي ضخامته، ونحو: زيد لا يفارق السجادة وهنا كناية عن صفة الكسل والنوم، ونحو:

1- قوله تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ) سورة المنافقون الآية (5)، وهنا كناية عن صفة وهي الإعراض.

وتنقسم الكناية عن صفة إلى ضربين:

1/ كناية عن صفة قريبة وهي ما يُنقل منها إلى المطلوب بلا واسطة وذلك نحو (فلان طويل النجاد) فهنا صفة الموصوف مباشرة وهي طول القامة.

2/ كناية عن صفة بعيدة وهي ما ينتقل منها إلى المطلوب بواسطة، كقولهم: (كثير الرماد) فهي من كثرة الرماد إلى كثرة إحراق الحطب إلى الطبخ إلى كثرة الضيوف إلى الكرم[5].

الكناية عن موصوف:

هو أن يكون المعنى المقصود هو ذات تتصف به مثل: (الرجل، المرأة، السيارة، الحصان، السفينة، والنخلة...)، هي كلها ذوات صالحة لا توصف بصفةِ ما وذلك نحو: (رأيت ملك الغابة) فهنا لم تقصد بهذه الكناية (ملك الغابة) بل المقصود هو الأسد لأن الغرض منه ملك الغابة أن تثبت صفة خاصة تدل على ذات موصوف هو الأسد ونحو: (أصبتُ العدو في مجمع

الإضغان) والإضغان هي الأحقاد وملخصها هو القلب. فأنت تريد أن تقول أصبت العدو في قلبه فكنيت القلب بصفة تستلزمه وهي مجمع الإضغان وهذه كناية عن موصوف، ونحو قوله تعالى: (وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ) سورة القصص الآية (13)، وهنا كناية عن موصوف وهي السفينة.

الكناية عن النسبة:

هي الحكم، وهو أن تسند الصفة إلى ما له تعليق بالموصوف، وهي الكناية التي تطلب بها تخصيص الصفة بالموصوف، ويرُاد بها إثبات أمر لأمر أو نفيه. وذلك نحو: (المجد بين ثوبيه والكرمُ ملء بين بُرديه) وذلك القول يتوصل إلى إثبات المجد والكرم للممدوح بأن جعلها في ثوبيه الذي يلبسها[6]. وذلك نحو قول زياد بن الأعجم:

إن السماحة والمروءة والندى *** في قبةٍ ضربتُ لابن الحشرج[7]

فإنه صرح بإثبات هذه الصفات لابن الحشرج جمعها في قبة وجعلها مضروبة عليه، فأفاد إثبات الصفات المذكورة على طريق الكناية.

المبحث الثالث

مواقع ذكر بيت المقدس عن طريق الكناية في القرآن الكريم

أول ما يمثله بيت المقدس في حس المسلمين وفي وعيهم وفكرهم الديني أنه القبلة الأولى التي ظل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يتوجهون إليها في صلاتهم منذ أن فُرضت الصلاة ليلة الإسراء والمعراج في السنة العاشرة للبعثة المحمدية، أي قبل الهجرة بثلاث سنوات، وظلوا يصلون عليها في مكة، وبعد هجرتهم إلى المدينة بستة عشر شهراً حتى نزل القرآن يأمرهم بالتوجه إلى الكعبة، أو المسجد الحرام.

2- قال تعالى: (وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) سورة البقرة الآية (149).

ويوجد في المدينة المنورة معلم بارز يؤكد هذه القضية وهو مسجد القبلتين الذي صلى فيه المسلمون صلاة بعضها إلى القدس وبعضها إلى مكة، وهو ما زال قائماً.

وقد أثار اليهود ضجة كبرى حول هذا التحول ورد عليهم القرآن بأن الجهات كلها لله، وهو الذي يحدد أيها يكون القبلة لمن يصلى له.[8]

3- قال تعالى: (سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) سورة البقرة الآية (142).

4- إلى قوله تعالى: (وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى

اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ) سورة البقرة الآية (143).

فقد قالوا إن صلاة المسلمين تلك السنوات قد ضاعت وأهدرت لأنها لم تكن إلى قبلة صحيحة فقال تعالى: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ) سورة البقرة الآية (143).

أي صلاتكم لأنها كانت صلاة إلى قبلة صحيحة مرضية عنده.

القدس أرض الإسراء والمعراج:

ثاني ما تمثله القدس في الوعي الإسلامي إنها منتهى رحلة الإسراء ومبتدأ رحلة المعراج السماوية، فقد شأءت إرادة الله تعالى أن تبدأ هذه الرحلة الأرضية المحمدية في هذه الليلة المباركة، من مكة ومن المسجد الحرام وأن تنتهي عند المسجد الأقصى، وقد كان ذلك بتدبير الإله وحكمة ربانية، وأن يلتقي خاتم الرسل والنبيين هناك بالرسل الكرام ويصلي بهم إماماً، وفي هذا إعلام عن انتقال القيادة الدينية للعالم من بني إسرائيل إلى أمة جديدة ورسول جديد عالمي وكتاب عالمي.

الكناية عن بيت المقدس في سورة البقرة:

1- قال تعالى: (وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ). سورة البقرة الآية (58).

وقد ذكر المفسرون أن المراد بالقرية هنا بيت المقدس[9] وذكر القرية كناية عن موصوف هو بيت المقدس وقد جاءت القرية هنا في أول موضع في

القرآن الكريم في سياق جملة فعلية وقد وقعت القرية بدلاً من اسم الإشارة الدال على القرب، إغراء لليهود على امتثال أمر الله، وقد جاء تركيب الآية عاقداً الأمر بدخولها بالتعبد، مقيداً الإغراء على دخلوها بكثرة الخير الدنيوي فيها وانتشارها في كل أماكنها.

2- قال تعالى: (سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) سورة البقرة الآية (142).

على حسب ما جاء في تفسير هذه الآيات ذكر المفسرون أن المرُاد بقبلتهم هنا هو المسجد الأقصى بيت المقدس[10] والذي تحصل عليه أن (قبلتهم) جاءت كناية عن موصوف وهو بيت المقدس.

3- قال تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ) سورة البقرة الآية (143).

وقد جاءت كلمة (القبلة) في هذه الآية كناية عن موصوف في سياق جملة فعلية مجرورة بعن مضافة إلى ضمير المسلمين وهذه الإضافة للدلالة على مزيد اختصاصها لأنه لا يستقبلها غيرهم.[11]

4- قال تعالى: (وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ) سورة البقرة الآية (145).

جاءت كلمة (قبلتك) في الآية كناية عن صفة في سياق أسلوب قصر (ما وإلا) وهي أقوى أدوات القصر.

الكناية عن بيت المقدس في سورة المائدة:

5- قال تعالى: (يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ) سورة المائدة الآية (21).

وقد ذكر المفسرون أن المراد بالأرض المقدسة فلسطين[12] هنا ذكر (الأرض المقدسة) كناية عن موصوف وهو القدس، وقد تولت سورة المائدة عما تستحقه الأرض التي توجد بها القبلة من التقديس.

الكناية عن بيت المقدس في سورة الأعراف:

6- قال تعالى: (وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ) سورة الأعراف الآية (137).

فسر المفسرون أن الأرض التي باركنا فيها هي أرض بيت المقدس،[13] وقد كنى عن بيت المقدس هنا بالأرض معرفة بالألف واللام إذاً أنها الأرض الكاملة الأوصاف. وفي ذكر المفعول الثاني (مشارق الأرض

ومغاربها) بالجهات كناية عن صفة الإحاطة، وفي ذلك زيادة إنذار الكافرين وزيادة بشارة المؤمنين.

7- قال تعالى: (وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ) سورة الأعراف الآية (161).

قال المفسرون المرُاد بالقرية ما قالوه في سورة البقرة في الآية (وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ) سورة البقرة الآية (58). وقد كانت القرية كناية عن موصوف وهو بيت المقدس.

الكناية عن بيت المقدس في سورة يونس:

8- قال تعالى: (وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) سورة البقرة الآية (93).

وقد فسر المفسرون أن المراد بمبوأ صدق أرض فلسطين وذكر بعضهم أن المراد بمبوأ صدق أرض مصر.[14]

وقد ذكر الحديث في سياق أسلوب إنشائي غير كُلي بطريقة القَسم وفي ذلك تأكيد على إنفاذ الله وعده. والمبوأ: مكان البوء، أي: الرجوع والمُراد السكن وأضيف المبوأ إلى الصدق، لأن عادة العرب إذا مدحت شيئاً أضافته إلى الصدق وهو من إضافة الموصوف إلى الصفة.

الكناية عن بيت المقدس في سورة الإسراء:

9- قال تعالى: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) سورة الإسراء الآية (1).

جاءت سورة الإسراء كاشفة عن التكريم لنبينا الكريم، وقد جاء لفظ المسجد الأقصى بحرف الانتهاء متبوعاً بوصفين كاشفين عن استحقاقه التعظيم وكونه مسرى النبي وهو مقر الأنبياء ومهبط الملائكة وموطن العبادات.[15]

وما أجمل هذا الظرف في (الذي باركنا حوله) أي: لأجله فهو أبلغ من باركنا فيه، وقد جاء المسجد الأقصى هنا كناية عن بيت المقدس.

10- قال تعالى: (وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا) سورة الإسراء الآية (4).

وقد كُني عن المقدس: (الأرض) أي: المقدسة التي كأنها لشرفها هي الأرض، وفي ذلك من البيان عن مكانتها ولا يخفى أن ذلك مُلح بفظاعة جُرم بني إسرائيل الذين أفسدوا في الأرض.

تظاهرت تراكيب القرآن في البيان عن مكانتها.

11- قال تعالى: (فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولا) سورة الإسراء الآية (5).

هنا ذُكرت القدس مُكنى عنها بالديار، وذُكرت الديار مفعولاً به، وقد وضع هذان الموقعان في رحم جملتين شرطيتين، كانت أداة الشرط فيهما (إذا) الدالة على تحقيق وقوع مدخولها (فإذا جاء وعد أولاهما)، (فإذا جاء وعد الآخرة) وقد وقعت الديار مضافة إلى خلال متعلقاً للفعل (جاسوا)

والمعطوف على جواب الشرط، وقد عبر بهذا الفعل تناسباً مع قدر القدس الذي لم يقدره بني إسرائيل حق قدره، فالجوس: هو طلب الشيء باستقصاء[16]والملحوظ أن الذين جاسوا وصفوا بكونهم عباداً أُولِي بأس شديد وكل ذلك يؤكد الكناية عن القدس ومكانتها العظيمة.

12- قال تعالى: (إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا) سورة الإسراء الآية (7).

وفي هذه الآية كُنى عن القدس بـ (المسجد)، وقد ذكر المسجد معرفاً بالألف واللام كأنه لشرفه هو المسجد، ففي التعريف تعظيم له، وقد وقع كذلك مفعولاً به للفعل (ليدخلوا) المعطوف على الفعل (لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ) وفي ذلك من التنكيل بهم وأهانتهم، وكل ذلك يتآزر في الكشف عن مكانة المسجد الذي هو أشرف ما في القدس.

الكناية عن بيت المقدس في سورة الأنبياء:

13- قال تعالى: (وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ) سورة الأنبياء الآية (71).

قال تعالى: (وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ) سورة الأنبياء الآية (81).

في هاتين الآيتين جاء التعبير عن القدس بالكناية عن موصوف بأنها (الأرض التي باركنا فيها) وكل ذلك تأكيد عن عِظم مكانة بيت المقدس في تلك الأرض وكونها ملاذ للنبيين.

الكناية عن بيت المقدس في سورة المؤمنون:

14- قال تعالى: (وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ) سورة المؤمنون الآية (50).

ذكر المفسرون أن المراد بـ(رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ) فلسطين، وهنا كناية عن الموصوف القدس وتأكيد البركة للأرض بالدليل فهي عبارة عن ربوات ووديان وجبال، وقيل أنه لو لا الرُبى غرقت القرى[17] كما ذكر أنه أحسن ما يكون النبات في الأماكن المرتفعة، وهي مع كونها آمنة بارتفاعها هي ذات قرار، أي: هي أهل أن يستقر فيها[18].

وقد ذكروا أن هذه الربوة هي الموقع الذي فرت إليه مريم، وهو الذي قيل لها فيه: قال تعالى: (فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا) سورة مريم الآية (24).

الكناية عن بيت المقدس في سورة سبأ:

15- قال تعالى: (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ) سورة سبأ الآية (18).

وقد فسر المفسرون أن المُراد بـ(القرى التي باركنا فيها) فلسطين.[19]

وهنا كناية عن القدس التي وُصفت من قبل في سورة الأعراف وسورة الإسراء والأنبياء، وهذا التصوير بهذا الوصف من عميم البركات لأن الأقصى مبارك حوله والقدس عمت بركاتها كل من جاورها.

الكناية عن بيت المقدس في سورة ق:

16- قال تعالى: (وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ) سورة ق الآية (41).

قال المفسرون أن المُراد بـ(مكان قريب) القدس[20]

وروى ابن ماجه في سننه بسنده عن ميمونة قالت: يا رسول الله افتنا في بيت المقدس، قال: (أرض المحشر والمنشر أيتوه فصلوا فيه فإن صلاة فيه كألف صلاة في غيره، قال: (أرأيت إن لم استطع أن أصل إليه؟ قال فتهدي له زيتاً يسرج فيه فمن فعل ذلك فقد أتاه). رواه أبو داود أيضاً.[21]

وقد جاء في هذه الآية الحديث عن القدس بأسلوب الكناية عن الموصوف بالمكان القريب، وذلك في سياق جملة فعليه بأسلوب إنشائي، طريقة الأمر ومعناه التحذير، مخاطباً به النبي صلى الله عليه وسلم، مُراد به الأمة، فقد وقع وصف القدس مَكنى عنه مجروراً بحرف الجر موصوفاً بالقُرب لذا جاءت سورة (ق) تتظاهر تراكيبها على التأكيد على يوم الخروج فجاء الحديث عن القدس هنا بكونها مكاناً للخرج. ليشتق الوصف والمكان بأن القدس أرض المحشر والمنشر.

الكناية عن بيت المقدس في سورة التين:

17- قال تعالى: (وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ) سورة التين الآية (1). اختلف المفسرون في التين والزيتون، هل هو ذات الثمرتين أم إشارة إلى شيء آخر واختلفوا أيضاً في تحديد المُشار إليه، فعن ابن زيد، التين مسجد

دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس وعن بن عباس، التين مسجد نوح على الجودي والزيتون مسجد بيت المقدس.

والقائلون بهذا القول ذهبوا إليه بمنطق أن المسجد موضع العبادة والطاعة، فلما كانت هذه المساجد في هذه المواضع التي يكثر فيها التين والزيتون فجاء ذكرها كناية عن هذه المساجد.

وذكر الشوكاني في سبب القسم (وطور سنين)[22] إنما أقسم الله بهذا الجبل لأنه بالشام وهي الأرض المقدسة كما في:

18- قوله تعالى: (إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ) سورة الإسراء الآية (1).

وأعظم بركة حلت به ووقعت عليه تكليم الله تعالى لسيدنا موسى عليه السلام.[23]

نتائج وتوصيات:

أولاً: النتائج:

1- جاء ذكر بيت المقدس في القرآن الكريم في عدد ثمان عشر آية من عدد عشر سور، مرتبة من حيث التقديم والتأخير كما في المصحف الشريف وهي: البقرة، المائدة، الأعراف، يونس، الإسراء، الأنبياء، المؤمنون، سبأ، ق، التين.

2- هنالك اصطفاء لأسلوب الكناية للتعبير عن القدس ومكانتها.

3- حديث القرآن عن القدس جاء متناغماً مع ترتيب النزول، حيث جاء ملائماً حال الرسول وصحابته وقت التنزيل وملائماً كل الأحوال عبر الزمان.

4- جاء الحديث عن القدس في القرآن الكريم على أنها أرض مقدسة ومباركة، والمؤمنون ملزمون بتقديسها وتطهيرها.

5- دعمت الدراسة عن طريق الكناية على أن القدس هي أرض المحشر والمنشر.

ثانياً: التوصيات:

- أوصي بأن تكون هذه الدراسة هي نقطة بداية لدراسات أخرى في القرآن الكريم في مجال البلاغة عامة وفي الكناية خاصة.
- أوصي الدارسين في مجال اللغة العربية والعلوم الأخرى محاولة ربط دراساتهم بالقرآن الكريم بقدر المستطاع.

خاتمة:

قامت هذه الدراسة في البحث عما ورد عن بيت المقدس في القرآن الكريم عن طريق الكناية والتغطية والسِتر في الآيات والسور والإحاطة بكل أنواع الكناية.

وقد اشتملت الدراسة على تعريف الكناية في اللغة والاصطلاح ثم تحدثت عن بيت المقدس في حِسْ المسلمين وفكرهم الديني وعن القدس بصفتها أرض الإسراء والمعراج.

وقد ورد ذكر بيت المقدس في القرآن الكريم في عدد ثمان عشرة آية من عدد عشر سور موضحة داخل الدراسة وقد جاءت كل هذه الآيات متناغمة ومؤكدة على أن القدس هي أرض المحشر والمنشر.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم بالرسم العثماني، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر، 68ش، العباسية، القاهرة، ت: 201006211361.

1- المصباح المنير، لأحمد بن علي الفيومي المقرئ، تحقيق الدكتور عبدالعظيم الشناوي، الطبعة الثانية، دار المعارف، ج2، ص 204.

2- جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد، تحقيق عبدالعظيم الشناوي، ج1، ص 120.

3- أساس البلاغة، جارالله أبوالقاسم محمد بن عمر الزمخشري، تحقيق الدكتور مزيد نعيم والدكتور شوقي المعري، ج2، ص 222.

4- الواضح في علم البيان،لأبي منصور البغدادي، تأليف أبوعلي البغدادي، شرح وتسهيل على تحفة الأخوان، نشر وتوثيق مكتبة نور،، ص 57.

5- الواضح في علم البيان، شرح وتسهيل على تحفة الأخوان، لأبي منصور البغدادي، مرجع سابق، ص 62.

6- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، تأليف عبدالمتعال الصعيدي، مكتبة اللغة العربية في كليات الأزهر الشريف، ط1، ص 543.

7- المفيد في علم البيان، للدكتور نميري سليمان علي، تحقيق الدكتور عبدالنبي عبدالله عبدالنبي، المطبعة العالمية للكتب، مصر، ص 91.

8- ديوان زياد الأعجم، شاعر العربية في خرسان، جمع وتحقيق الدكتور يوسف محمد حسين، ص 42.

9- اليهود في القرآن الكريم سيرتهم وأخلاقهم وأحوالهم قبل البعثة، بقلم محمد عزة وروزة، ص 312.

10- جامع البيان، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي، 299/1.

11- التحرير والتنوير، تأليف محمد الطاهر بن عاشور، شيخ جامعة الزيتونة بتونس، توزيع مكتبة مصر، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 22/2.

12- الجامع لأحكام القرآن الكريم، لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تصحيح الشيخ هشام سمير البخاري، 409/1.
13- نظم الدُرر في تناسب الآيات والسور، للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم عمر البقاعي، 92/3.
14- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للأمام أبي محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق مجموعة من الباحثين، الناشر دار الأمة، 315/2.
15- مفاتيح الغيب، تأليف فخر الدين الرازي -544هـ-606هـ، دار الكتب العالمية، طباعة دار الفكر، 440/8.
16- نظم الدُرر في تناسب الآيات والسور، تأليف برهان الدين أبي الحسن إبراهيم عمر الباقي، الناشر علجول مدينة الثقافة، 329/4.
17- إعلام المساجد بأحكام المساجد، تأليف محمد بن عبدالله الزركشي 745هـ-794هـ، تحقيق الشيخ مصطفى المراغي، الناشر دار الأوقاف، ط1، مكتبة دار بن الجيزي، ص 289.
18- أدب الطلب في منتهى الإرب، تأليف محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق عبدالله يحيى الشريحي، الناشر دار ابن حزب، ص 489.